



التصوف في بلاد تادلا من خلال كتب التراجم

جرد للأعلام ورصد للقضايا والادوار

محمد مخلوفي

طالب في سلك الدكتوراه بكلية الآداب والعلوم الانسانية بني ملال

مختبر الدكتوراه: التاريخ والتراث، تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث الجهوي

المغرب

ملخص:

يتناول هذا البحث أحد المجالات المهمة في المجال الديني الذي اثار اهتمام الباحثين بمنطقة تادلا، والتي شكلت أحد أهم المراكز الصوفية خلال القرنين السادس والسابع (12-13م)، لم يكن التصوف فيها انعزاليا، بل كان حركة اجتماعية ودينية وعلمية فاعلة، وثقتها كتب التراجم والتي تقدم لنا صورة حية عن هذه التجربة.

كما شكل التصوف أحد المواضيع المؤثرة في تاريخ المنطقة منذ وقت مبكر من الوجود الاسلامي بالمغرب. فقد عرف توسعا كبيرا وانتشارا وكسب اتباعا أكثر بمساهمة الحكماء والعلماء والفقهاء والمتصوفة، الذين ظهروا مبكرا في بلاد تادلا، كما عرفت المنطقة أشهر الطرق الصوفية، والزوايا، وظهر شيوخ وعلماء دين نجحوا في تأسيس زوايا وطرق، وجمعوا اتباع من المنطقة وخارجها، حيث شكلوا مادة دسمة لكتب التاريخ وخاصة التراجم، التي جمعت العدد الهائل من رجالات التصوف ومساهماتهم في تحديد الفكر الديني داخل الاوساط الاجتماعية، هذا الفكر الذي يمثل الفقهاء والمتصوفة، ورجا الزوايا كل من موقعه.

الكلمات المفتاحية: التصوف العلماء، المتصوفة، الفقهاء، الفقه، الزوايا...



مقدمة:

تعتبر بلاد تادالا من المناطق المفضلة لدى الزهاد والمتصوفة منذ فجر الإسلام، لممارسة شعائهم وطقوسهم. كما أصبحت خلال العصور الحديثة تضاهي غيرها من نواحي البلاد، سواء من حيث عدد أوليائها أو شهرتهم ومكانتهم. مما دفع المغاربة إلى الاهتمام بالترجمة لمختلف الأعلام، كما حضي التصوف بنصيب مهم من الاهتمام ضمن كتب التراجم.¹

إن التصوف هو جوهر الدين وباطنه، وهو البعد الذي يمنح الدين حياته الداخلية وطاقته المحركة. فبينما تهتم الشريعة بتنظيم السلوك الظاهر، يتجه التصوف إلى تهذيب الباطن وتنقيته من شوائب الانا، ليصل الإنسان إلى معرفة الله شهودية تقوم على الذوق والوجدان لا على الفكر المجرد.

إن التصوف ليس فلسفة، ولا مذهبا إخلاقيا، بل طريقة حياة روحية تستهدف إعادة الإنسان إلى مركز وجوده الأصيل، أي إلى حضرة الحق.

ويمثل التصوف واحد من أكثر التجليات الروحية عمقا في تاريخ البشرية ليس بوصفه نظاما دينيا مغلقا، بل كمسعى انساني شامل لذوق الحقائق المطلقة وتلمس معنى الوجود، نه في صميمه، استجاب للقلق الوجودي الذي يلازم الإنسان منذ الخليقة سعيه لفهم دوره وموقعه في هذا الكون وعلاقته بمبدأ الوجود ذاته.

وقد تعددت المصطلحات التي تصف هذه الرحلة عبر الثقافات ففي التراث الإسلامي "التصوف" وكذلك عند المسيحية وعند اليهود "بالقبالة" وفي الفلسفات الشرقية "اليوجا"، لكن وبالرغم من تعدد التسميات إلا أنها تشترك في نواة واحدة تتعدى حدود الإدراك العقلي والحسي إلى المجاهدة الوجدانية والنفسية.

إن الباحث في التاريخ الاجتماعي والديني والمعرفي والثقافي للمغرب يقف على معطى أساسي هو الحضور الصوفي الواسع الذي يغطي مظاهر الحياة في المجتمع المغربي.

فلا تكاد تخلو بادية ولا حاضرة إلا وفيها ذكر أولياء وصلحاء تجردوا لخدمة حاجيات المجتمع الدينية والروحية والعلمية والتربوية والاجتماعية والجهادية². وعليه فقد سمي المغرب ببلاد ألف ولي نظرا لأنه أكثر الدول احتضانا للزوايا والصلحاء والاضرحة حيث ما وليت وجهك فإنك تجد أو تصادف فيه قبة أو ضريح وزاوية، حتى وصفت ببلاد الأولياء والمتصوفة..

فقبل ظهور الديانات عكف سكان المغرب ومنهم منطقة تادالا (التاريخية) على الخصوص حظ في تجليات هذه الظاهرة، وعملت على تقديس وتبجيل الأولياء والصلحاء كما عرفت اشعاعا ونفودا روحيا لأنها ضمت ضمن مجالها مراكز دينية وروحية تجاوز صيتها المحلي إلى الوطني. (كالزاوية الدلائية والصومعة والزوايا الشرقية) وقد اسمى "بيروني" هذا المجال بالمثلث الديني³. أما العبدوني كاتب الزاوية الشرقية فقد قال عنها "يقصدها الأولياء والصلحاء كما تقصد الإبل أرض الكلا".⁴

الا ان السؤال الذي يفرض نفسه ماهي العوامل التي جعلت من المجال التادالي قبلة للمتصوفة؟

وماهي دواعي ودوافع هؤلاء المتصوفة والصلحاء اللجوء الى بلاد تادالا؟

إن الناظر في تاريخ منطقة تادالا يجده لا يختلف عن باقي مناطق المغرب وذلك بالحضور الواسع للزوايا والمزارات والصلحاء وذلك لان المنطقة تجمع بين مزيج فريد من المقومات الجغرافية والروحية والاقتصادية والتي جعلت منها أبرز المراكز الصوفية في المغرب عبر العصور.



الموقع الجغرافي:

مما لا شك فيه أن المنطقة تعتبر من أخصب المناطق، وتنوع التضاريس، من أراضي صالحة للزراعة ومجال غابوي رعوي، وكذا مجاري مائية (منايع وعيون ووددية...) إضافة الى الموقع الاستراتيجي كمرر رابط بين العاصمتين التقليديتين فاس ومراكش، وبين الجنوب والغرب بلاد انفا، مما جعل منها منطقة محطة تبادل تجاري وثقافي، وسهل لتفاعل مختلف التيارات الفكرية والروحية بالمغرب.

المعطي الاقتصادي:

عرفت المنطقة بموارد اقتصادية متنوعة عززت من جاذبيتها لا، وتشير المصادر التاريخية (كتب اوصاف البلدان والمسالك) "انها من أهم المناطق واغناها مذكورة في كتب اوصاف البلدان والمسالك على انها "مستخرج معدن النحاس ومزرعة للقطن وملتقى الرقاق الحاملين للسلع من جميع الافاق، وان تادلا موطن قبائل متعددة وعمارة واسعة..."⁵ إضافة الى نشاط اقتصادي وتجاري متميز الذي مثلته الأسواق (حصن داي) والذي وفر نوعا من الازدهار والرخاء والذي مثل قاعدة مادية لازمة لاستقرار الفقهاء والمتصوفة وحتى العلماء ودعم انشطتهم.

العامل الروحي:

لقد كانت منطقة تادلا من الأماكن المفضلة للزهاد والعباد منذ فجر الإسلام أي بحلول القرن السادس الهجري وأصبحت أحد مراكز التصوف الكبرى حيث عد المؤرخ بن الزيات أكثر من عشرين ترجمة لصوفيين نشأوا واستقروا بتادلا وروايات عن وجود ثلاثمائة وسبعين من الصالحين بالمنطقة يزارون ويقتدى بهم.

المقومات العلمية:

فقد شكلت الزوايا مركز اشعاع حيث كانت تمثل العمود الفقري للحياة الصوفية في بلاد تادلا، وكانت بمثابة مؤسسات متكاملة للتربية والتكوين والايواء ومن أبرزها:

الزاوية الدلائية: كتب سليمان الحوات في كتابه "البدور الضاوية" عن الزاوية الدلائية فاعتمد عليه محمد حجي في كتابه الزاوية الدلائية، انها أسست بالأطلس المتوسط في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري، حوالي 974هـ/1566م، واسسها أبو بكر محمد بن سعيد الدلائية بإشارة من شيخه عمر القسطلبي⁶. وتحولت الى مركز وطني للعلم والادب في فترة أفول الدولة السعدية. حيث آوت العلماء والطلبة من كل انحاء المغرب، واشتهرت بمجالسها العلمية وخزانة كتبها العظيمة، وبلغ اشعاعها أن فاقت مدينة فاس في تلك الفترة.

الزاوية الصومعة:

أسسها سعيد أمسناو تلميذ عبد العزيز التباع في بني ملال ن وتعتبر من الزوايا التابعة الجزولية المبكرة التي نشرت العلم والصلاح في عهد الشيخ سعيد امسناو، والذي اتى مباشرة بعد محمد المسناوي. كان أحمد بلقاسم في سن الحداثة: حوالي ثلاث عشرة سنة، يحضر حلقات دروس سيدي سعيد أمسناو الى جانب صديقه احمد الشرقي (مؤسس الزاوية الشرقاوية بابي الجعد) ومعه أزيد من تسعمائة بين شيخ وطالب ومريد وفقير...⁷

الزاوية الشرقاوية:

تأسست الزاوية الشرقاوية على يد شيخها سيدي احمد الشرقي الذي اخذ تعليمه الأول بالصومعة رفقة زميله احمد الصومعي، وكان كثير الحركة في زيارة الاولياء والصالحين ورجال العلم داخل المنطقة وخارجها⁸. فاتخذ من منطقة ابي الجعد مقرا لزاويته، ورغم الصعوبات التي اعترضته في بداية انشاء زاويته، فقد أصبحت من اهم الزوايا في المغرب، جمعت بين الصلاح والتدين والعلم والتعليم، وتقديم مختلف الخدمات والمساعدات



من إيواء واطعام، وتخفيف ألام المظلومين، واغاثة المهوفين، وانجاد المجاهدين...⁹ وقد استقطبت اهتمام الناس، وقصدها من كل البقاع وكان ذلك نتيجة الموقف المتسامح لسيدى احمد الشرقي، وتقربه من السلطة السعدية¹⁰..

إن هذا الحضور الواسع للزوايا باعتبارها مراكز اشعاع لأشهر الطرق الصوفية، جعل من المنطقة مجالا خصبا للبحث عن هذا التراث خاصة في كتب التراجم التي تعتبر من المصادر الاساسية للمساهمة في كتابة التاريخ الجهوي والوطني، فهي تساهم بشكل كبير في تحديد الفكر الديني داخل الأوساط الاجتماعية، هذا الفكر الذي يمثل الفقهاء والمتصوفة ورجال الزوايا، كل من موقعه.

فالفقيه هو رجل شريعة وحارسها، والمتصوف هو رجل صلاح وزهد، وكثير من هؤلاء المتصوفة من بادر الى تأسيس زاوية صارت بمثابة تنظيم سياسي واجتماعي، فتقاسمت الأدوار وأحيانا السلطة مع المخزن المركزي.

ومن جانب اخر ستمكننا بعض كتب التراجم التي هي موضوع بحثنا من الوقوف ومعرفة العدد الهائل من رجالات التصوف والفقهاء والعلماء من أبناء المنطقة او هاجروا اليها من مناطق أخرى حماية لأبدانهم ودينهم، او هم أبناء المنطقة هاجروا بصلاحيهم وعلمهم الى مناطق أخرى، بل الى مراكز كبرى وحواضر علمية مثل فاس ومراكش.

وبناء على ما سبق تأتي هذه الورقة الموسومة ب " التصوف التادلي اعلامه وقضاياه من خلال كتب المناقب والتراجم. وهي مصادر ستمكننا من الوقوف عند حضور اعلام التصوف بالمنطقة باعتماد عملية الجرد مع وضع تراجم خاصة، وكذا استنباط مجموع القضايا التي تهم التاريخ الديني بالمغرب إن على مستوى التأطير والأدوار والتأثير في الأحداث الاجتماعية والسياسية..

وللاحاطة بالموضوع سنعتمد على الكتب التالية:

* كتاب التشوف في رجال سادات التصوف.

* كتاب مباحث الأنوار.

* كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي.

* كتاب الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام.

أولا: أعلام التصوف التادلي من خلال كتاب التشوف في رجال سادات التصوف (التشوف الصغير):

لصاحبه ابي زيد عبد الرحمان بن إسماعيل الصومعي، حفيد سيدي احمد بلقاسم شيخ زاوية الصومعة، عمل على دراسته وتحقيقه الأستاذ المصطفى بن خليفة عربوش، وتم نشره في مارس 2014م ضمن منشورات الزاوية الصومعية.

يقع الكتاب في 271 صفحة من الحجم المتوسط، يحتل فيه النص المحقق 117 صفحة.

ويتضمن هذا الكتاب الى جانب النص المحقق مجموعة من المباحث التي خصصها المحقق لرجالات التصوف بالمنطقة، بل حتى على الصعيد الوطني.

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه عرف بمجموع رجالات التصوف بمنطقة تادلا واقطابه على الصعيد الوطني، وهو بذلك يعد استمرارا وتكملة لما بدأه يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات في كتابه التشوف الكبير.



وبالنسبة للمؤلف فهو من الاعلام التي تعرضنا لترجمته في هذه الورقة، وذكره صاحب الإعلام في الجزء الثامن من كتابه ابتداء من الصفحة 121.

ومن أعلام التصوف ببلاد تادلا الواردة في كتاب الشوف في رجال سادات التصوف. هناك:

1- أبو عثمان سعيد بن عمر الصحراوي التدلوي:

وأورده صاحب التشوف الصغير في معرض حديثه عن اتباع الشاذلية بتادلا، ويقول عنه "قدم من مراکش الى تادلا وكان من أكابر المشايخ في العلم والعمل به والفقه وآداب الشريعة والسنة والكتاب. (التشوف/ ص -121).

2- سيدي محمد بن سعيد بن عمر الزعري:

من اتباع الشاذلية: "ومنهم الشيخ سيدي محمد بن سعيد بن عمر الملقب بالزعري قدم الى تادلا توفي بواد الشرفاء وقيل واد الجرموني". (ص -121)

3- مولاي احمد تاطلوس:

يقول عنه صاحب التشوف الصغير: "ومنهم الشيخ سيدي أحمد الملقب بملاي تاطلوس بتادلا من قرب واد الشرفاء واسمه احمد بن محمد بن محمد. (ص-121)

4- الزعيم بن عبد العساس:

"ومنهم السيد الزعيم بن عبد السيد ابي عبد الله المهدي بن الشريف مولاي الحبيب الحسني توفي بتادلا بمسليف من واد الشرفاء من قبيلة رتمى الجابري. (ص-121)

5- أبو حفص عمر المخفي:

"ومنهم أبو حفص عمر المخفي نفعنا الله به". (ص-121)

6- ميمون السحراوي الفيجيجي:

" ومنهم السيد ميمون السحراوي بن محمد بن علي بن عبد الله الحسني الفيجيجي قدم الى واد الشرفاء من تادلا كانت له كرامة تجتمع عليه الوحوش، وهو من أصحاب الشيخ السيد محمد الملقب بالزعري". (ص-121)

7- محمد الغريب:

"ومنهم الشيخ سيدي محمد الغريب بن أحمد بن يوسف العماري الشكدالي، دفن قرب وادي ام الربيع وكانت له كرامة...". (ص-122)

8- فاضل بن إبراهيم:

" ومنهم الشيخ أبو محمد فاضل بن إبراهيم بن عثمان نفعنا الله به امين دفن قرب تاغزوت وله كرامات خارقة للعادة". (ص-122)

9- سيدي محمد بن مبارك الشكدالي:



..ومنهم الشيخ سيدي محمد بن مبارك بن علي الغماري الشكدالي نزل بوادي أم الربيع، وله كرامة خارقة للعادة وله شيخ..". (ص-123)

10- علي بن سعيد العمري الشكدالي:

..ومنهم السيد علي بن سعيد بن محمد بن يوسف بن موسى الجابري التدلاوي توفي بوادي أم الربيع نفعنا الله به آمين..". (ص-123)

11- حسن بن علي الجابري التدلاوي:

..ومنهم الشيخ سيد ي حسن بن علي بن منصور بن موسى الجابري التدلاوي توفي بوادي الربيع نفعنا الله به..". (ص-123)

12- حد أبو الاعلام:

..ومنهم الشيخ حد الاعلام بن ابي فارس عبد العزيز بن احمد عبد الصمد نزل بفشتالة..". (ص-123)

13- طلحة بن يحيى الجراوي:

..ومنهم الشيخ السيد طلحة بن يحيى بن محمد الجراوي نزل بتادلا من وادي أم الربيع نفعنا الله به آمين..". (ص-123)

14- قبضا بن محمد الضاوي:

..ومنهم الشيخ السيد قضا بن محمد الضاوي عبد الله المغيلي الجابري، دفن بفشتالة من بلاد تادلا بالجبل..". (ص-123)

15- عيسى بن علي بن عبد الله:

..ومنهم الامام الشيخ عيسى بن علي بن عبد الله بن محمد بن ابي وكيل ميمون الصحراوي الحسني نفعنا الله به آمين، كان من أهل الخير والصلاح ودفن بجبل تادلا من ناحية اشقندة، له كرامة خارقة..". (ص-123)

16- عمر بن خيفة بن احمد:

..ومنهم الشيخ السيد عمر بن خليفة بن احمد بن سعيد بن علي بن مالك نفعنا الله به، تلمساني قد الى تادلا وكانت له كرامة في النحل والوحوش يجتمعون عليه..".

17- سيدي شنان:

.. ومنهم الشيخ سيدي شنان بن احمد بن محمد بن عبد الله البوزيدي التلمساني نزيل تادلا من وادي أم الربيع، توفي وترك ذرية أصلحهم الله وله في الصريفة..". (ص-124)

18- الحجاج:

.. ومنهم الرجال الحجاج سدي الهبطي وسيدي احمد الحجاج وسيدي علي الحجاج وسيدي إسماعيل الحجاج..". (ص-124)

19- أبو الحجاج يوسف بن عيسى الشريف الفجيحي العرهي:



..ومنهم الشيخ أبو الحجاج يوسف بن عيسى الشريف الفجيجي العرهي الذي قدم القراط بغريس من بلاد بني شقران من ناحية تلمسان وترك أولاده بمدينة تادلا من واد ام الربيع..". (ص-129)

20- أبو زيد عبد الرحمان بن الشيخ الحاج يوسف بن عيسى الشريف الحسني العرهي:

..ومنهم اليد أبو عبد الرحمان بن الشيخ الحاج يوسف بن عيسى الشريف الحسني العرهي الذي كان صاحب السلطان مولاي احمد الذهبي بن السلطان محمد الشيخ الحسني السجلماسي أيده الله (ص-129)

21- أبو عمران موسى بن علي البوكمازي:

.. ومنهم الشيخ أبو عمران موسى بن علي البوكمازي نفعا الله به..". (ص-135)

22- سيدي علي بن إبراهيم التدلاوي:

.. ومنهم الشيخ سيدي علي بن إبراهيم التدلاوي نفعا الله به..". (ص-135)

23- علي بن عبد الرحمان بن محمد الدرعي:

.. ومنهم الشيخ السيد علي بن عبد الرحمان بن محمد الدرعي نزيل تادلا من جبل تامجوت نفعا الله به..". (ص-146)

24- أبو القاسم بن محمد الزعري:

.. ومنهم الشيخ أبو القاسم بن محمد المدعو الزعري بن سعيد بن عمر بن أبي محمد المهدي بن حمامة بن عبد العزيز بن عبد الله بن سليمان بن سعيد بن أبي محمد بن الحر البحراوي العماري القرشي نفعا الله به، وأصله من نسل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزيل بواد ام الربيع... قبره يزار نفعا الله به..". (75)

25- أبو عبد الله محمد بن احمد المليثي:

..ومن أصحابه منهم، أبو عبد الله محمد بن مبارك بن احمد المليثي... دفن ببلاد زعير من تاسيوي..". (177)

26- أبو بكر المجاطي:

.. ومنهم الشيخ أبو بكر بن محمد بن سعيد بن أبي بكر بن يحيى الدلائي، عرف بالمجاطي وأصله من المنزه صنهاجي حميري من عرب اليمن نفعا الله به..". (الصفحة 177).

27- محمد بن داود الشاوي:

..ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود البوزيدي الشاوي نزيل ازراك من تادلا من جوف الجبل، محب الدعوة نفعا الله به..". (ص-184)

28- سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي:

.. ومنهم الشيخ علي بن إبراهيم بن إسحاق بن احمد بن الصغير البوزيدي نزيل أكرط من تادلا بايت اعتاب من جوف الجبل كثير السجود والركوع ولم يجلس في كرسية..". (ص-185)



29- الشيخ أبو عثمان:

"...ومنهم الشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي العباس أحمد بن موسى السوسي نزيل تادلا من مدينة داي من الصومعة وكان من أولياء الله الزهاد يعبد بالجبل الأخضر ثلاثين سبة وكان يخدم أربعين يخدم أربعين وليا وكان قائم الليل صائم النهار، فانت له أحوال فقال يا مريد من افطرتني في ذلك اليوم فهو يقرب من حالي فكان صاحب الوقت صغيرا وهو السيد أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الزمراني محمد بن عبد الله بن الحسن بن أبي القاسم بن عبد العزيز العماري المري القرشي نزيل جده من قبيلة زمران، واصله من أغمات ايلان وهو نزيل الصومعة من مدينة داي من تادلا فقد افطر الشيخ ذلك اليوم برغائف وديك ودجاج قبل المريدن، فقد أوصى عليه الشيخ وأدرك مالا يحصى من الفقه والنحو وعلم المكاشفة الباطنة والظاهرة..." (ص-186)

30- سيدي رح:

"... ومنهم الشيخ سيدي رح بن ادريس بن عبد الله بن عيسى الشكدالي العماري المري القرشي من أهل تادلا، دفن في جماعة شجدال نفعنا الله به..." (ص-188)

31- حمزة بن يعيش:

"... ومنهم الشيخ سيدي حمزة بن السيد يعيش بن أبي الحسن علي بن محمد كنون الشريف الحسني نزيل تادلا من واد الشرفاء من تاشرافت، قبره يزار نفعنا الله به..." (ص-188)

32- لالا رحمة:

"... ومنهم السيدة لا لا رحمة بنت السيد حمزة الشريف الكانوني بتادلا... قبرها رحمها الله مقابلة زوجها، كانت من الطيارة في الهواء والمشي على الماء..." (ص)

33- الشيخ سيدي منصور:

"... ومنهم الشيخ يدي منصور الشيخ سيدي حمزة الشريف الكانوني نفعنا الله به، وهو في روضة ابيه رحمه الله..."

34- سيدي أحمد الشرقي:

"... الشيخ سيدي أبو عبيد أحمد الشرقي بن أبي القاسم بن محمد الزعري بن سعيد نفعنا الله به التدلاوي الجابري الرمي قبره بتادلا من جعيدان على مساييف أميال من جده رحمه الله من تسب العماري الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي عنه..."

35- أبو شاقور الغزواني:

"... الشيخ أبو شاقور الغزواني نفعنا الله به نزيل بالميعاد من تادلا..." (ص-190)

36- عبد القادر بن محمد الشرقي:

"... سيدي عبد القادر بن الشرقي محمد أبي عبيد الله نفعنا الله به نزيل أبي الجعد..." (ص-191)



ثانيا: أعلام التصوف التادلي من خلال كتاب مباحث الانوار.

1- التعريف بالكتاب:

هو كتاب مباحث الأنوار في أخبار بعض الاخيار، لابي العباس احمد بن محمد بن يعقوب الولاوي، درسه وحققه الأستاذ عبد العزيز بوعصاب، وتم نشره ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1999.

المؤلف الولاوي: عاش أبو العباس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر، توفي عام 11238هـ/1717م، نشأ بأعالي ملوية وسط عائلة مشهورة في محيطها القبلي بالولاية والنسك والتفقه في الدين، خريج الزاوية الدلائية وفيها التقى وتعلم وتعلق بأستاذه الحسن اليوسي، وصاحب كذلك الشيخ محمد بن عبد الله السوسي فاخذ عنه مبادئ التصوف.

الكتاب: يقع كتاب مباحث الانوار في أخبار بعض الاخيار لأبي العباس أحمد الولاوي ف 341 صفحة من الحجم المتوسط، يحتل فيها النص المحقق 167 صفحة.

يتضمن الكتاب قسمين: قسم خاص بالدراسة وقسم بالتحقيق، وقبل ذلك تقديم للأستاذ أحمد التوفيق ومقدمة للتحقيق أنجزها المحقق.

القسم الأول الخاص بالدراسة يتكون من فصلين:

الأول: عنوانه المحقق بالموضوع والمنهج.

الثاني: عنوانه بالمضامين.

وتكن أهمية الكتاب في كونه قدم الى جانب تراجم الرجال والاعلام والمتصوفة معلومات اجتماعية وسياسية يمكن من خلالها اخذ صورة عن زمن من ترجم لهم الولاوي.

2- أعلام التصوف التادلي الواردة في كتاب مباحث الانوار.

1- علي العكاري:

خريج زاوية الدلاء، الشيخ علي العكاري، الدراكة الأنبل والفهامة الأجل، كثير التقوي، يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقيل أن الله خاطبه في المنام فقال له: "إن الناس اشتغلوا بلهوهم وانت بخلافهم، فبأي شيء تريد ان تدخل به في رحمتي؟ فقلت يارب بفضلك، فقال: أو بطاعتي فإن طاعتي من فضلي".

كان لا يهاب الجن ولا يبالي بهم حين يشاهدهم ليلا في الساقية التي يغتسل منها إذا أجنب بالاحتلام. لا اغتاب الناس، فسمي بفارس اللسان ودفن بالرباط. (مباحث الانوار، ص-207)

2- محمد بن عبد الرحمان الصومعي:

وصفه صاحب مباحث الانوار بالخاضع المنيب والعالم الأريب، توفي ودفن بالصومعة غام 1712م، من سلالة سيدي أحمد بن أبي القاسم، تولى مشيخة زاوية الصومعة بعد وفاة والده، كان يرى النبي يقظة، مقبل على العلم والتأليف. (ص-209)



3-الطيب المسناوي:

من زاوية الدلاء، توفي بها عام 1077هـ/1660م، والده هو محمد بن أبي بكر الدلائي، وهو الفقيه النحرير العالم المتفنن الحقيق بالتقدير، كثير العبادة، رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فطلب منه السماح من التقصير في حقه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ساحتك. كان شديد الخشوع في صلاته، لا يستطيع سماع الأذان من هيبة ذكر الجلالة. (ص-210)

4-مولاي علي:

هو أبو الحسن مولاي علي، تميز بمواظبته على الاذكار وكرمه الكبير، كثير الصيام يرجع المحقق الأستاذ عبد العزيز بوعصاب أن مولاي علي هو الشريف أبو الحسن علي بن قاسم الذي كان في الزاوية الدلائية وهي عامرة، وهو من أخبر الدلائيين بأن حكمهم لن يطول. (ص-214)

5-عبد الخالق:

وهو أبو عبد الله عبد الخالق الشريف الوجيه، الأنجد والنبيه الأجد من شرفاء مراكش، نزيل الصومعة ببلاد تادلا. (ص-214)

6 -أحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي:

هو أبو العباس أحمد بن محمد الدلائي ولد بالزاوية الدلائية، وتوفي بها 1075هـ/1664م، كان حافظا كثير القراءة والإدمان على العلم، مقبلا على العبادة، ملازما للذكر، يحترم شيوخه، فكان يقول: "...أن للشيخ هبة عظيمة ليست للملوك، فإن هبة الملوك بالحرس والأعوان والخدم والغضب، فإذا قابلت الملك وكلملك ضعفت تلك الهيبة، وهيبة الشيخ عظم عند القرب والمكاملة، وكان مؤمنا بكرامات هؤلاء الشيوخ وقدرتهم على مكاشفة الخواطر والغيوب..." (ص-218)

7 -محمد بن مسعود المراكشي:

من مراكش توفي بالطاعون عام 1090هـ/1679م بعد أن ارتحل الى زاوية تانغملت وأقام بها مشغلا على الحديث والعلم. (ص-221)

8- أبو محمد عبد الحليم:

هو من نسل الشيخ أبي القاسم الزعري والد الشيخ أحمد الشرقي أصيب ذات يوم في يده فشكاها لشيخه وطلب منه أن يمسح عليها بيده فقال له الشيخ، امسحها انت بيدك، فمسحها، فسقطت كان لم تكن عن آخرها. وبقيت بركة شفائها بيده. (ص-224)

9- محمد الساحلي:

(انظر ترجمته في الإعلام، نقل صاحب الإعلام ترجمة الكتاب من مباحث الأنوار). (ص-224)

ثالثا: أعلام التصوف التادلي من خلال كتاب صفوة من انتشر من أبار صلحاء القرن الحادي عشر:

1-التعريف بالكتاب: "صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر".

يعتبر كتاب "صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر" من أهم كتب التراجم المغربية المصنفة قديما وحديثا، انتهى المؤرخ محمد الصغير الإفراي من كتابته سنة 1137هـ/1724م، وهو مجموعة تراجم لأعلام مغربية متنوعة الاتجاهات بارزة أو غابرة غني بالإشارات والنوادر. اعتمد في تأليفه هذا على 41 مصدرا وتقاييد مكتوبة بخط من يوثق بهم. وهو عبارة عن مجلد واحد يضم 497 صفحة بعد تحقيقه.



اعتمد صاحب الكتاب في التراجم التي كتبها المنهج التالي:

1- اسم العلم للمترجم وكنيته ولقبه.

2- مبلغه من العلم وقيمه في ذلك.

3- شيوخه.

4- تلاميذه.

5- مؤلفاته.

6- تصوفه.

7- كراماته.

وفاته ومكان دفنه إن تمكن من ذلك.

2- التعريف بصاحب الكتاب محمد الصغير الإفرائي.

هو الفقيه، والمفسر، والمؤرخ، والشاعر، والاديب، أبو عبد الله محمد الصغير الإفرائي بن الحاج محمد بن عبد الله الإفرائي، ويقال: الإفرائي أو الوفرائي، نسبة الى قبيلة بني يفرن المشهورة بالمغرب، ولد بمراكش، في أواخر القرن الحادي عشر الهجري وامتد عمره الى نصف القرن الثاني عشر الهجري، وبها بدأ طلب العلم، حيث تتلمذ على يد جماعة من الاعيان، كالشيخ أحمد بن علي الداسي المراكشي (1130هـ)، وإبراهيم العطار، والفقيه الصالح العربي المراني.

عاش في عصر الدولة العلوية الشريفة، في المرحلة الاولى على عهد المولى إسماعيل وما عرفته هذه الفترة من حروب داخلية من أجل اخماد الثورات والفتن، وفي المرحلة الثانية التي عرفت اضطرابات سياسية اشعلها جيش العبيد بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل، يوم السبت 21 مارس 1727.

3: أعلام التصوف من خلال كتاب صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي:

1-ابوبكر محمد سعيد المجاطي مؤسس الزاوية الدلائية).

سماه الشيخ الإفرائي بالشيخ الصالح الورع الزاهد، كانت ولادته سنة 934هـ، سماه أبا بكر الولي الصالح سيدي علي بن إبراهيم، تتلمذ على يد كبار شيوخ عصره مثل الشيخ ابي عمر المراكشي والشيخ ابن مبارك الزعري والشيخ أبا الطيب اليحياوي الميسوري، اشتهر بكرمه واطعامه الطعام وكرمه للضيف وجزيل عطائه، وكان له دور كبير في استتباب الأمن بعد الفتنة التي عرفها المغرب غداة وفاة المنصور الذهبي... كانت وفاته عام 1021هـ، ودفن بالزاوية الدلائية القديمة. (كتاب الصفوة، ص-71)

2-أحمد بن ابي القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز الهروي الزمراني:

شيخ زاوية الصومعة ودفينها، كان حريصا على العبادة وكثير الصوم وزاهدا في الدنيا. كان يقرئ الطلبة والصبيان ويخرج السلوك (ختم القرآن) وكثير الخلوة، وكانت هذه أسبابه في تطليق زوجته، فتقبلت هي الأخرى الأمر فقالت للعدلين الذين بعثهما إليها لهذا الغرض: ("إن كان هذا قصده فأنا طلقته لله عز وجل وأمنا صابرة حتى يقضي الله أمري وأمره."



نفي الشيخ احمد الصومعي الى مراكش، من طرف المنصور السعدي بعد الخلاف الذي وقع له مع ابنه زيدان والي تادلا حول صحة كلمة المعزى أو المعز، والذي انتهى بلطم زيدان للشيخ الصومعي بنعله على وجهه، فقرر السلطان بعد الشكوى التي تقدم بها سيدي أحمد أن ينفيه الى مراكش لكونه المخطئ في ذلك السجل.

كان يحظى بالتقدير من أقرانه المتصوفة، فرغم خلافه مع سيدي عبيد الله الشرقي مؤسس الزاوية الشرفاوية بابي الجعد، كان هذا الأخير يقول: "أنا وسيدي احمد بن القاسم كفردتي رحي من دخل بيننا طحنه".

له العديد من الكرامات منها تمييزه بين المصلي وبين تارك الصلاة من النظرة الأولى، وله الكثير من الانتاجات العلمية في مجال التصوف، توفي عام 1013 هـ ودفن بالصومعة. (كتاب الصفوة، ص-106)

3- سعيد بن يوسف الحنصالي:

وهو الفقيه الصالح أبو عثمان سعيد بن يوسف الحنصالي، من قبيلة حنصالة بجبل ايت عتاب، اشتهر بكثرة تعبدته و ترحاله لمقابلة المشايخ و النهل منهم، وخصوصا الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الرحمان الدرعي. (ص-356)

4- محمد بن ابي بكر المجاطي الصنهاجي الدلائي:

وهو الشيخ الكبير القدر الامام الشهير ابو عبد الله سدي محمد بن ابي بكر المجاطي الصنهاجي الدلائي، أحد صدور المشايخ المغربية انتهت اليه رسالة الدين والدنيا، هكذا وصفه المؤرخون الإفرائي.

كان عالما وكريما معطاء بشهادة من عاصروه، يصفه الشيخ سيدي محمد بن علي بالعالم المعقولي الجهيد الاصولي العلامة المهام والرئيس الفذ المهام...

تتلمذ على يد ابي عبد الله محمد عيسى بن علي البوكلي...

كانت زاوية في الدلاء من أعظم زوايا المغرب، اشتهرت بالإطعام والايواء وتعليم الطلبة.

توفي عام 1046 هـ ودفن بالزاوية الدلائية القديمة، بعدما اوصى أولاده بعدم الافتتان بأموال الدنيا والسلطة. (ص-136)

5- محمد الشرقي بن ابي القاسم الزعري:

هو الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد الشرقي الولي الصالح سيدي أبو القاسم الزعري الجابري الرقي، وهو أكثر الصوفية زمانه شهرة، وأكثرهم اتباعا، قطب زمانه، من كراماته المكاشفة. كما تدل على ذلك قصته الشيخ مع صديقه سدي احمد بن القاسم، حينما اعتقد هادا الأخير ان الناصر ابن المنصور دخل تادلا منتصرا، فانكر ذلك سيدي بو عبيد قائلا: "مسكين بابا احمد رأى راس الناصر دخل تادلة فضنه انه يدخل"، وقصته كذلك مع شخصية من وفد المنصور، حيث كان احدها يرغب في ان يخبره سيدي بو عبيد بأحوال جارتة المريضة و الأخير خبزا خالصا ودلاعة، فاطمر ذلك فكان لهما ما ارادا من الشيخ تتلمذ على يد والده الذي اخذ عم الشيخ التباع و على يد ابن مبارك الزعري و الشيخ ابي عبد الله محمد بن عمر المختار المكناسي، توفي سنة 1010 هـ و دفن بابي الجعد التي كاتن تعرف بجعيدان. (ص-75)

6- محمد الصغير بن محمد المنيار:

وهو ابن الولي الصالح سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ودفن اكرض، كان أستاذا معلما للطلبة، كثير الورع والتقوى وزهدا في الدنيا، له كرامات، توفي سنة 1062 هـ. (ص-159)



7- أبو عبد الله محمد بن الحسن الدادسي:

وهو الشيخ الرياني دفين واويزغت، ينتسب لسيدنا عثمان بن عفان، كثير التعبير، كثير الصلوات على النبي، كثير قراءة القرآن حتا انه كان يبداه عند صلاة المغرب وينهيه بعد صلاة العشاء التي كانت تعرف بصلوات العتمة، توفي عام 1062هـ. (ص)

8- محمد العربي بن احمد الشفتالي:

كان عالما زاهدا حريصا على العدل وعدم ظلم الناس. رفض مرارا منصب القضاء، تتلمذ على يد ابي زيد بن القاضي وابي محمد عبد القار، توفي عام 1092هـ (ص-322)

9- محمد بن محمد بن ابي بكر الدلائي:

وهو الشيخ الامام أبو عبد الله محمد المعروف بالمرباط بن محمد بن ابي بكر الدلائي، بارعا في علوم الدين وعلوم النحو والتصريف، بارع في الضم والنثر... كان يجالس المولى الرشيد العلوي في مجالسه العلمية، توفي عام 1089هـ، ودفن بباب الفتوح في فاس. (ص-307)

10- محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي:

وهو الفقيه الناسك أبو عبد الله محمد المعطي بن عبد الخالق بن الولي الصالح سيدي محمد الشرقي، الزاهد، المتقشف الورع تلميذ سيدي محمد بن إبراهيم الثاملي وابي محمد عبد القادر الفاسي، بارع في علوم التفسير والاحياء والحديث والتصوف، توفي عام 1092هـ. (ص-323)

11- موسى أبو عمران البوكمازي:

هو خليفة الشيخ ابي عثمان دفين واويزغت، كان يشتغل عي تجارة الزيت، فحدث به ان انكسرت رجل دابته ن فاسف على ذلك كثيرا، الحج او الغزو، فاخبره ان الحج و الغزو هما. توفي ودفن بمنطقة تانغملت. (ص-197)

رابعا: كتاب الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام.

1- التعريف بالمؤلف:

هو الفقيه القاضي عباس بن محمد بن محمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد السملالي المراكشي. ولد بمراكش عام 1294هـ ونشأ بها بادي النباهة، ظاهر النجابة، تعلم العلوم والحساب والقرآن والفنون التي كان يلقتها شيوخ مراكش وعلمائها بمساجدها ومدارسها.

ولما بلغ 25 سنة من عمره، 1319هـ 1901م أذن له بالتدريس ن وربع فيها إذ حصل على المرتبة الثالثة في هيئة العلماء بمراكش. وخلال تلك السنين التي قضاها في التدريس بدأت ميوله التاريخية تتأكد وتجلت في اهتمامه بالتعريف بمراكش ورجالها. كما كان ذا ملكة لغوية وفقهية. وخلال ثورة الأمير عبد الحفيظ بن الحسن الخليفة السلطاني بمراكش على أخيه السلطان عبد العزيز، وذلك سنة 1325هـ/1907م، تألق المؤلف في المجال العلمي والإداري ببلده، حيث عين كاتباً بالبنينة الأولى أو ديوان الوزير، وترقى في السنة التالية الى المرتبة الأولى في الهيئة العلمية بمراكش. وعين خلال هذه الفترة قاضيا لمحلة الخليفة الثائر، لما خرج هذا الأخير من مراكش الى فاس. ومن بين المناصب التي تقلدها لما عاد الى مراكش قاضيا بمحكمة الاستئناف الشرعي سنة 1915. توفي يوم الأربعاء 20 شوال 1378هـ /29 أبريل 1959م.



2-التعريف بالمؤلف: الإعلام بم حل مراكش وأغمات من الاعلام.

يعتبر هذا المؤلف من أهم مؤلفات القاضي عباس بن إبراهيم السملالي، وهو عبارة عن تراجم من حل بمراكش وأغمات من الرجال النابغين، سواء كانوا من أهلها أو من غيرهم استهله كما هي العادة في كتب المناقب بوصف تاريخي وذكر لخيرات وبركات المدينتين الواردين في العنوان. ومما ذكر صاحب الإعلام في مقدمة مؤلفه بخصوص أسباب تأليف الكتاب، أنه جاء تلبية لطلب الشيخ عبد الحي الكتاني لما رآه في القاضي عباس ابن إبراهيم السملالي من عناية لمناقب الصلحاء. يضم كتاب الاعلام 10 أجزاء ن خصص الجزء الأول للتقديم، والأجزاء الأخرى التسعة لتراجم ومناقب الأعلام حسب الترتيب الالف بائي.

تحقيق الكتاب:

كان الاهتمام الفعلي بالمؤلف بعدما التمس سفير ووزير الملك الحسن الثاني الدكتور يوسف ابن المؤلف أن ينعم بطبع كتاب الإعلام بالمطبعة الملكية، وقبل جلالته الطلب بعدما تبين له أهمية الكتاب لتاريخ مراكش خصوصا وتاريخ المغرب والاندلس عمومًا وأوكلت مهمة طبعه الى الأستاذ عبد الوهاب بن منصور

3-: اعلام التصوف التادلي من خلال كتاب الاعلام بم حل مراكش و اغمات من الاعلام:

1-إبراهيم بن يعقوب السوسي الجزولي السملالي:

ذكره صاحب الكتاب بإشارة يتيمة: "دفين اشقوندة بتادلا، من أصحاب عمر المراكشي ". (الاعلام الجزء الأول، ص 181)

2-إبراهيم بن محمد السوسي اليسي:

وهو من كبار علماء المالكية، الواسع المعرفة، تنقل بين فاس ومراكش لطلب العلم، ما يربطه بتادلا هو مروره بزاوية الدلاء. (ج/الأول-ص 183)

3-أبو الربيع بن تازكيرت القبانلي:

دفين مراكش، يذكر صاحب الكتاب انه تلاقي بالشيخ الصالح ابي يعزي. (ج/الأول/ص 229)

4-ابن داوود بن العربي الشرقاوي:

ابن الولي الصالح سيدي العربي الشرقي من رجالات زاوية ابي الجعد، ولد سنة 1219هـ، توفي عام 1307هـ بابي الجعد، اخذ اسمه عن جده لأمه سيدي بن داوود البوزيدي دفين ازراك قرب قرية أغرم لعلا بتادلا، كثير التقشف والزهد والعبادة والطهارة، حيث يغتسل كل صبح ولم يصل النافلة جلوسا طوال عمره، كثير الاطلاع على كتب الدين وكثير تلاوة القرآن، حميد الاخلاق. (ج/الأول/ص 193).

5-أبو بكر بن محمد بن سعيد المجاطي الدلائي:

هو الذي سبق وأشرنا الى ترجمته في كتاب افرائي، من اخلاق ابي بكر وكرمه ودوره في إقرار الامن بعد انهيار الدولة السعدية واحتضان العلم والعلماء. (ج/الأول/ص 209).



6- أبو القاسم بن محمد الزعري العمري:

يتمد نسبه الى مرداس بن هلال بن عمر الله بن عمر بن الخطاب، وهو والد سيدي محمد الشرقي مؤسس زاوية جعيدان.

اخذ عن الشيخ التباع (عبد العزيز بن عبد الحق)، زاهدا في الدنيا، يشتغل راعيا، كان من الابدال، كثير الكرامات والعلامات، كما تدل على ذلك قصة اختفائه و هو يرافقه أصحابه حينما بلغه نبا وفاة احد الصلحاء، فذهب للنظر في مسالة من يخلفه ثم عاد الى أصحابه دون ان يشعروا بشيء. ومن كراماته كذلك التنبؤ بان يتزوج ابنه سيدي محمد الشرقي من المالكية التي عقد قرانها بالشيخ أبا عمر المراكشي وتزوجت سيدي بوعبيد وانجبت له ثلاثة أولاد وهم سيدي عبد السلام واختان له.

والده هو سيدي محمد الزعري دفين تاشرافت وزوجته هي لالة رحمة بنت الشيخ حمزة وكانت من الصالحات.

توفي ودفن على ضفة نهر ام الربيع بقصبة تادلة الحالية. (ج/الأول/ص 383).

7- أبو يعزى (مولاي بوعزة) يلنور بن ميمون الهزميري الدكالي:

وهو صاحب النور كما يعني اسمه يلنور بتشديد النون المضمومة عاش حوالي 130 سنة ويقال 170 سنة، دفن بقرية تاغيا، مزاره يتبرك به الزوار. كان القطب والاعجوبة والآية في زمانه، كرامات كثيرة وخارقة.

يذكر الشيخ أيوب بن عبد الله الفهري الشهير بابي الصبر انه لقي الشيخ الفاضل الزاهد الرفيع اية وقته واعجوبة زمانه أبا يعزى يلنور وشاهد كراماته الفائقة و الخارقة، فقال: "ولو لا خيفة انكار البطالين المنكرين والغافلين المدبرين لأوردنا من بعض ما شاهدنا منه من الكرامات ما يعرفه المحققون و يرتاح لسماعه المتقون".

ويروي احمد بن إبراهيم الأزدي انه سمع أبا يعزى يقول: "ما لهؤلاء المنكرين لكرامات الاولياء؟ والله لو كنت قريبا من البحر لأرتم المشي على الماء عيانا".

كما كانت لمولاي بوعزة صفة المكاشفة، كما تؤكد ذلك رواية الشيخ ايوب ابي الصبر بخصوص الرجل الذي سلم على ابي يعزى فانكر عليه خيانتة لأخيه في عرض زوجته. وكان لا يتوالى في فضح كل العصاة من سراق وزناة...

وكانت له كذلك القدرة على علاج النساء حتى قيل له ان فقهاء فاس أنكروا عليه لمس صدور النساء والنضر اليهن. فأجاب "ليس يجوز عندكم ان يلمس الطبيب تلك المواضع ويراهما للضرورة فهلا عدوني واحدا من اطباءهم؟ وانا المس ذوات العاهات لتداوي بذلك".

ويعد الشيخ أبو يعزى مدرسة لأولياء الله الصالحين نظرا لمكانته الروحية، فصار قبلة للجميع في حياته قبل مماته.

ومن كراماته كذلك طعامه تبات الأرض، ففي بداية حياته كان راعيا، يدفع رغبته كله لرجلين بالمسجد، بينما يكتفي هو بأكل نبات الأرض. مر به شخص فوجده يأكل قلوب الدفلى، فناوله منها فوجدها حلوة، كما كان يروض الأسود، حيث ان وفدا جاء لزيارته من فاس فهاجمهم أحد الأسود، فما كان من ابي يعزى يلنور الا ان صاح ودنا من الأسد وأخذ بأذنيه وقال لأصحابه اركبوه، فركبه أحدهم، وفي واقعة أخرى جاء لزيارته وفد يركبون الحمير، وبعد وصولهم تعايشت الأسود مع الحمير...

هذا جزء من كرامات الشيخ ابي يعزى، وقد خصه الشيخ احمد بن ابي القاسم شيخ الصومعة بكتاب يذك مناقبه وكراماته. (ج/الأول/ص 406).



8- أحمد بن أبي القاسم الشعبي الهروي الزماني:

سبق وان وردت ترجمته مع الإفرائي وقد نقل صاحب هذا الكتاب جزءا كبيرا منها، وهي تؤكد في مجموعها الالتزام الأخلاقي والديني لسيدي أحمد ودوره كمعلم للطلاب والصبيان، إضافة إلى نجم من نجوم السماء فاتقد السراج لحينه. (ج/الثاني/ص 276).

9- أحمد العلمي الفلاحي الشهير بالدمناقي:

كان خطيبا لجامع الكتبيين، يحتمل أصله من دمنات كما تدل على ذلك تسميته. (ج/الثاني/ص 465).

10- الحسن بن إبراهيم الباعقلي:

قطن بتانغمة بعدما انتقل إليها من مراكش في أواخر عمره، كما كان عالما علامة متواضعا لا يغامر في أجوبته وتأويلاته للأسئلة، مات بهذه القرية من بلاد تادلا ودفن هناك. (ج/الثالث/ص 154).

11- محمد بن تميم الزناتي:

أصله من بلاد تادلا، هاجر إلى مراكش ومات بها عام 607هـ، ودفن باب الدباغين، من عباده الصالحين، من كراماته أنه مجاب الدعوى، يحكي كذلك مريده واقعة غريبة حدثت لهم مع الشيخ الزناتي في جبل جليز حينما لم يتمكنوا أن يتوضؤوا من ساقية لعمقها، فذهبوا إلى موضع آخر فلما رجعوا وجدوا شيخهم يتوضأ من نفس المكان بعدما ارتفع منسوب مياه الساقية. ما يؤكد استجابة الله لدعائه قصته مع امرأة غادرتها مملوكتها، فدعا الله إليها، كانت وفاته سنة 607هـ. (ج/الرابع/ص 156).

12- محمد بنداود الشاوي:

أصله من الشاوية من أولاد بوزيري هاجر إلى منطقة ازراق بتادلا ومات ودفن هناك. خصاله وصفاته ومكارمه كثيرة فهو عروس الفضلاء الأخيار ونخبة المحبين من الأولياء الأبرار، شيخ من مشايخ الصوفية، انتفع الناس به وتابوا على يديه... هكذا قدمه صاحب الإعلام، وهو تلميذ الشيخ التباع بمراكش، وكانت صداقته بسيدي علي بن إبراهيم هي سبب مجيئه إلى ازراق. (ج/الخامس/ص 262).

13- محمد بن أبي بكر الصنهاجي الدلائي:

سبق ترجمته في كتاب الإفرائي، ويبدو أن صاحب الإعلام نقل جزءا كبيرا من هذه الترجمة واعتمدها. (ج/الخامس/ص 262).

14- محمد بن عبد الخالق الشرقي:

وهو الملقب بالمعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن القطب سيدي محمد الشرقي بن أبي القاسم الزعري، يصفه صاحب الإعلام بالعلم العامل المتفنن المتصوف، الفقيه، الزاهد المتكشف الورع صاحب القلم الرفيع، الضليع في التفسير والحديث والتصوف وقد أجاز به في ذلك سيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي محمد بن سعيد بن إبراهيم التاملي.

من كرماته الكشف عن أحوال الزائرين، وأحوال الولاة الظالمين لمريده وكفاية القليل من الطعام لنحو من السبعين من الزائرين بشره الرسول (ص) بالجنة، وكان من الأوتاد.

انتقل إلى مراكش واستقر بها مع والده، وكانت وفاته عام 1092هـ ودفن خارج باب الدباغ. (ج/الخامس/ص 314).



15- محمد الشاذلي:

قدمه صاحب الإعلام بابن الشيخ الشهير القطب العارف الكبير سيدي محمد فتاح بن الولي الكامل العارف الواصل سيدي ابي بكر الدلائي وهو يقول دائما صاحب الإعلام، الشيخ الفقيه الكامل النزيه العالم العلامة الأوحى، الإمام الفاضل الأجد، قدوة الأنام، وحسنة الليالي والأيام، فريد الدهر، ووحيد العصر صاحب الاخلاق السنية والاحوال المرضية الحبر لا الالافظ، الجامع بين العلم والدين، والمتسي بسيرة أسلافه المهتدين.

ولادته كانت بزواوية الدلاء ونشأ بها، درس مختلف العلوم على والده وأعمامه ومختلف الأساتذة والعلماء الذين استهوتهم الزاوية الدلائية وكرمها ورعايتها للعلم والعلماء، مثل العلامة احمد بن علي بن عمران السلاي الفاسي، وسيدي العربي الفاسي.

شهد انهيار الإمارة الدلائية وتخريب الزاوية على يد المولى الرشيد العلوي فتم تهجيرهم الى مدينة فاس فشغل هناك خطيبا مفتيا، كانت وفاته بفاس الادريسية ودفن بها سنة 1300هـ. (ج/الخامس/ص 353).

16- محمد المسناوي بن احمد الدلائي:

ابن الفقيه العلامة سيدي احمد بن الشيخ الإمام المحدث، سيدي محمد الملقب بالمسناوي، ابن ولي الله سيدي محمد ابن الشيخ العارف، سيدي ابي بكر الدلائي، هذا هو نسبه كما قدمه صاحب الاعلام، ويصفه كذلك بشيخ الإسلام وعالم الإعلام، خاتمة المحققين، رئيس الهداة وقدوة الموفقين، الامام الكبير العالم الحجة الشهير، الدراكة الحافظ المتقن، المشارك المتقن تاج الكراسي، والمنابر وعين أعيان المشايخ والأكابر، أستاذ الأئمة، ولجم شيخ الجماعة وعمدة المفتين.

كانت ولادته بالزاوية الدلائية القديمة سنة 1072هـ، عاش هو الآخر نكسة الزاوية أيام سيدي الحاج فتم ترحيله الى فاس، لتستمر رحلته العلمية مع استاذة سيدي عبد القادر الفاسي وسيدي عبد السلام القادري وسيدي العربي ومحمد القسطنطيني، ولحسن اليوسي وغيرهم...

شغل مهمة الخطابة والإمامة بالمدرسة البوعنانية ثم الإمامة والخطابة والتدريس بمسجد المولى ادريس وتولى أمر الإفتاء لكنه تخلص عن هذه المهمة.

تخرج على يد العديد من العلماء مثل محمد بن حمدون البناني، وابن عبد السلام البناني احمد بن مبارك ومحمد الكندوز ومحمد كسوس ومحمد بن زكري... خلف الكثير من المؤلفات... كانت مناقبه كثيرة، وكان محبوبا لدى الخاصة والعامة، خرج في جنازته رجالا ونساء وصبيانا أميرا ومأمورا واخذوا نعشه قطعاً تبركا به، كان ذلك عام 1136هـ.. ودفن داخل قبة سيدي العايدي، وقال بعض العلماء انه اخر آل ابي بكر علما، واخر أهل عصره دينا وعفة... (ج/السادس/ص 26).

17- محمد الصالح بن المعطي الشرقي:

نسبه كما قدمه صاحب الاعلام: محمد الصالح بن الشيخ المعطي بن المرابط سيدي عبد الخالق، ابن القدوة البركة سيدي عبد القادر، ابن الولي الصالح الكبير والقطب الغوث الشهير، سيدي محمد الشرقي التادلي القرشي العمري.

تعلم على يد كبار العلماء مثل سيدي محمد الحاج بن عبد القادر والامام الحسن اليوسي وسيدي بن سعيد الطرابلسي والامام سيدي أحمد العطار، والعالم سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، خلف مؤلفات كثيرة، تلاقى القاضي عياض واخذ عنه، توفي عام 1139هـ. (ج/السادس/ص 37).



18- محمد بن عبد الرحمان الصومعي التادلي:

هو من أحفاد الولي الصالح سيدي احمد بلقاسم الصومعي، وصفه صاحب الاعلام بفريد عصره وأعجوبة دهره، ضليع في العلوم الفقهية والنحوية واللغوية، كان كريم يطعم الطعام، عابد يقوم الليل والناس نيام، لازم الشيخ سيدي الكامل سيدي محمد بن إبراهيم التاملي المراكشي واخذ عنه الكثير...

كانت له كرامات منها انه أثناء اقامته بفاس كان الناس يسمعون الصباح بعد صلاة العشاء في قبر من القبور، فذهب الى القبر ودعا لصاحبه بالعفو والمغفرة فانقطع ذلك الصباح. توفي بداء الطاعون. (ج/السادس/ص 47).

19- محمد الساحلي:

وهو من ذرية سيدي بوعبيد الشرقي، كان متواضعا شجاعا، فارسا زاهدا وافته المنية بالحج. (ج/السادس/ص 48).

20- محمد بن عبد الله إكيك الكيكي:

هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان إكيك الكيكي، العلم القدوة، مفتي البلاد الدمناتية، له مؤلف بعنوان الشرعة وبرهان الرفعة في تذييل أجوبة فقيه درعة، توفي عام 1185هـ. (ج/السادس/ص 80).

21- محمد بن عبد الرحمان التادلي:

هو شيخ مقرر، محدث نحوي تتلمذ على يد مولاي عبد الرحمان بن ادريس المنجرة. (ج/السادس/ص 147).

22- محمد العربي بن محمد المعطي الشرقي:

هو العربي بن محمد المعطي بن محمد المدعو الصالح الشرقي، جمعت مناقبه في مؤلف الفه حفيده سيدي الحاج العربي بنداد: الفتح الوهبي في مناقب الشيخ ابي المواهب مولانا العربي.

كان شديد التدين منذ صغره، كثير الصلاة والذكر والدعاء، كثير المناجاة الى الله، يتلوا القرآن باستمرار، محافظا على صلاة الجماعة، زاهدا طيب الاخلاق...

تتلمذ على كبار العلماء والفقهاء أمثال سيدي المحجوب المومي والعلامة سيدي محمد بلقاسم السجلماسي والعلامة سيدي احمد جاد الله حناني، والعلامة محمد العقاد الفيمي بجامع الازهر، وغيرهم...

من كراماته أن العلامة سيدي العربي بن السايح الشرقي أخبر أن والده السيد السايح كان لا يلد إلا الإناث، فأتى يوما الى الشيخ فزاره واشتكى عليه، فأعطاه قميص صبي وجعل فيه وردة، فصدقت إشارة الشيخ، ورزق السيد العربي في العلم والعمل. توفي عام 1234هـ. (ج/السادس/ص 182).

23- محمد بن عبد السلام عبد الشرقي:

من ذرية سيدي بوعبيد الشرقي مؤسس الزاوية بابي الجعد، تميز بالزهد والورع والتقوى، دفن بروضة القطب الأكبر سيدي الجزولي رضي الله عنه. (ج/السادس/ص 188).



24- محمد الحفيان:

هو سيدي محمد فتح المدعو بالحفيان، من حفدة سيدي احمد الشرقي، قال عنه أحد الصلحاء: والعمرى الحفيان ذي العلم والصلاح والعرفان ووصفه بالأستاذ المقرئ المشارك الفاضل، سيدي محمد بالفتح المدعو الحفيان، ال الشيخ الكبير والقطب الشهير سيدي احمد الشرقي العمرى، رحل ن بلده في طلب العلم الى مراكش، فأخذ القراءات وأحكامها عن بن عمه الولي الصالح، الزاهد الوارع سيدي محمد بن عبد السلام الشرقي... واخذ العلم كذلك عن مشايخ فاس.

وبخصوص كراماته، يروي أحد عن سبب اجتماعه بالشيخ سيدي محمد الحفيان، انه كان له رفيق من الطلبة أبي السباع كان قد أخذ عن الشيخ ورده وانخرط في سلك طريقته، فاشترط عليه للدخول معه أن يريه كرامة من كرامات الشيخ، وكان وقتا متأخرا من الليل تنام فيه الناس وتشد أبواب السكك لا يفتح الموكلون بغلقها إلا لمن عرفوا أنه من أهل الحومة، فتوافقا على أنهما أن قصدا دار الشيخ في ذلك الوقت ولم يتعذر عليهما فتح الأبواب، دخل في طريقته، فكان ذلك بالفعل، حيث وجدا الأبواب مفتوحة والأسواق عامرة والحوانيت مفتوحة والمصاييح موقدة. (ج/السادس/ص 188).

25- محمد بن عبد الكبير التادلي:

أصله من دار أولاد زيدوح ببني موسى، اسقر بمراكش اخذ الطريقة عن مولاي الطيب الدرقاوي، كثير المطالعة، نساخ للكتب، حافظ للقراءات السبع، متعاطي للنحو والعروض ونظم الشعر، تتلمذ على كبار المشايخ والأساتذة أمثال الحسن الفيلاي، والفقير احمد بن الطاهر، وابن عبد الواحد الدويري وطبقتهم، والفقير الدمناقي. مات عام 1317هـ ودفعه بالزاوية الدرقاوية بالقصور. (ج/السابع/ص 47).

26- مسعود الايلاني:

اسمه الكامل مسعود الايلاني الأسود أبو الخير من بلد ايلان نزل محلة داوود ببلاد تادلا ومات بها 604هـ تميز بالصلاح والزهد شيخه هو علي الصنهاجي صاحب كرامات. (ج/السابع/ص 265).

27- ميمون بن سحنون الجراوي:

وهو أبو الوكيل، أصله من تادلا، قدم الى مراكش ثم عاد الى تادلا ومات بها. تميزت حياته بالورع والتقوى. (ج/السابع/ص 360).

28- صالح بن الحاج المعطي التادلي:

أصله في الغالب من بلاد تادلا، عاش بمراكش من اتباع مولاي العربي الدرقاوي، تتلمذ على يد كبار الشيوخ أمثال سيدي علي بن حمدون بن الحاج، والحاج الدودي التلمساني وسيدي محمد بت إبراهيم السلوى من تلاميذه السيد أحمد ابن الخياط والسيد المهدي الوزني. (ج/السادس/ص 49).

29- عبد الخالق بن عبد القادر الشرقي:

عبد الخالق بن ابي النصر عبد القادر سيدي محمد الشرقي، كان حسن الخلق، محافظا على دينه وعرضه، تقيا صادقا في معاملاته. (ج/الثامن/ص 49).



30- عبد الخالق بن محمد الشرقي:

هو عبد الخالق بن محمد بن أحمد العروسي بن الشرقي عبد القادر بن سيدي محمد بن الشرقي بن أبي القاسم الزعري، وصاحب الاعلام بالعالم الفاضل، الناظم النائر ن تلمذ على يد الكبار من العلماء والشيخوخ من أمثال الولي الصالح سيدي محمد الصالح بن المعطي الشرقي، والعلامة الرباطي سيدي أحمد ابن عبد الله الغري، وكان شاعرا ومؤلفان من مؤلفاته "المرقى في مناقب القطب سيدي محمد الشرقي".

31- عبد الرحمان التنغملي المراكشي:

صاحب زاوية تنغملي بين ايت اعتاب وهنتيفة العامرة وهي التي خلفت الزاوية الدلائية في ذلك، حريص على مجالسة العلماء والنهل منهم، ملازم للمسجد، حسن الهيئة جميل الخلق، مفرط في الكرم الى درجة أنه كان يعول كثيرا من الناس ففقدوا ذلك بعد موته، وكان يقترض لأجل ذلك، لما توفي ترك ديناً كثيراً فقضي من زاويتين توفي عام 1296هـ. (ج/الثامن/ص 144).

32- عبد الله بن محمد ابن تيجلات التادلي:

هو عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن تيجلات التادلي المراكشي، فقيه ومقرئ، أصله من تادلا وأقام بمراكش. (ج/الثامن/ص 221).

33- العربي بن داود الشرقي:

نبه الكامل العربي بن سيدي بن داود بن الولي الصالح سيدي العربي بن القطب سيدي المعطي الشرقي، كان مولده بقرية بزوسنة 1241هـ أثناء إقامة والده هناك لمدة سنتين تلمذ على يد والده، وهو تلميذ الفقيه سيدي الحاج الحاتمي بن الشرقي، والفقيه محمد بن صابر التلمساني، تميز بتواضعه ولين اخلاقه وتقشفه وزهده ومثابرتة على العبادة. (ج/التاسع/ص 29).

34- علي بن محمد الشاوي:

من أصحاب القطب سيدي محمد الشرقي، كان ينقل الخطب على ظهره، فأنكر عليه الناس ذلك بمراكش، فناداه ذات يوم أحد الفقهاء: انت الرجل الذي بتادلا، فدنا منه وتكلن معه في جميع العلوم، فوقع العجب للفقيه، وأخير فقهاء البلاد بذلك، فجعل يتكلم معهم واحدا واحدا حتى افحم الجميع في مجلس ترأسه المنصور. (ج/التاسع/ص 196).

35- عمر بن المكي الشراقوي التادلي:

هو عمر بن محمد المكي بن الولي الشهير محمد المعطي بن الصالح التادلي الشراقوي، وصفه صاحب الاعلام بالسيد الأشهر الهمام الأكبر، الفقيه العلامة، البحر الفهامة، العارف الكامل، الولي الصالح، الامام المعترف، علامة نبيه. ومن كراماته انه تلقى سيدي شمهروش قاضي الجن مرات عديدة وتبرك به واخذ عنه.

له عدة تأليف أشهرها موارد الصفا في الصلوات على النبي المصطفى، كانت وفاته عام 1260 هـ بفاس حيث دفن. (ج/التاسع/ص 299).

36- سعيد المسناوي:

نزيل صومعة تادلا، ودفنها، أحد عن الشيخ عبد العزيز التباع، وصفه صاحب الدوحة بالفاضل الزاهد ذو الشوكة والعناية، وهو من اتباع سيدي محمد المنساوي الحريص على السنة، فيقال المحبة عيساوية كإشارة الى أتباع سدي محمد بن عيسى الفهدي، والسنة المسناوية.



كان كثير الاتباع، بلغ عددهم نحو الألف يؤكلون من زاويته يراقب سلوكاتهم فيعاقبهم إن صدر منهم سوء، كان لا يلد، ومن كراماته في هادا الباب انه دخلة عليه زوجته وقد ولدة مولودا، فوجدها أهلها في فرح وسرور فقال لها " ان كنت تفرحين بموته كما تفرحين بولادته فنعم، وألا فالله يعطي ما يذهب به" فلم يكن الا ثلاثة ليالي ونحوها ومات. ويحكا ان سيدي علي بن براهيم مر في طريقه على محل سيدي سعيد المساوي بعد موته، فجلس يقضي حاجاته في الطريق بمنظر من الناس، فقليل له ألا تستتر من

الناس؟ ما هنا إلا سيدي سعيد، هو ذاك راقد...

38- سعيد بن يوسف الحنصالي:

علامة شهير تلميذ سيدي علي بن عبر الرحمان الدرعي التادلي توفي عام 1214هـ (ج/العشر/ص 149).

39- سيدي بن ابي القاسم العمري:

من بلاد تادلا توفي بمكناس، ودفن بها عام 1131هـ وصفه صاحبه الاعلام بالفقيه العلامة، المشارك المحقق الفهامة، المعقولي الأشهر، البياني الأكبر، اية النحو والبيان، حريص على مخالطة العلماء ومجالستهم، ولاه السلطان المولى إسماعيل امر التدريب وشؤون القضاء بمكناس. (ج/العشر/ص 149).

40- ياسن الأسود:

الشهير باب يلبخت، تلميذ الشيخ ابي يعزى، مقره بجبل دمنات، مات عام 602هـ، وهو من أكابر المشايخ والاولياء، زاهد في الدنيا، كثير الكرم فكان يقول " عاهدت الله تعالى ان لا يفتح لي في شيء من الدنيا إلا رددت اليه". وذلك ما حدث له فعلا حين اعد ثورا ليطعمه جيرانه، اذ اختن ولده، فجاءه رجل فقير نفست زوجته وليس عنده ما يطعمها، فأهداه سيدي أبو يلبخت ذلك الثور. فقليل له انت محتاج اليه منه، فأجاب: " سيفتح الله لي، فيما اطعمه الناس". فما طلع الفجر حتا سيقث له جملة من الثيران فأطعمها الناس.

من كراماته أنه كان ينزل إلى أسفل الجبل ليتوضأ على مدرج من نور في الهواء. وكان كثير البركة، يطحن حفنة من القمح فتמلا برمة كبيرة، كما ان رحاه كانت تدور لوحدها وتطحن. وكان يأتي موضع السباع فتشمه وتلحس ركبته وتنصرف بعد ان يقول للسبع، انا خلق مثلك.

كما كانت تطوى له المسافات، حيث زار شخصا في اغمات ورجع من عنده ليلة واحدة. (ج/العشر/ص 203).

41- يحيى بن محمد بن عبد الرحمان التادلي:

من اهل تادلا، دفن بفاس بعد وفاته عام 576هـ كان عبدا صالحا مجاب الدعوة كريما. ففي مجاعة ومسغبة مراکش قال الشيخ محمد بن إبراهيم " قال لي يحيى التادلي: اريد ان تعيني اليوم، فقلت له نعم، فقال: جيتني بالفقراء الذين بجامع علي بن يوسف فأتيته بهم، فاخرج قمحا وسمكا كان عنده ففرقه عليهم حتى لم يبق له منه شيء". وروايات كرمه منها انه تصدق بفاس بغرفتين مملوؤتين بالقمح، وانه لما ماتت زوجته، تزوج امرأة كان يوسع عليها لجمالها، فخشي ان يصرف ذلك عن التصديق فطلقها. (ج/العشر/ص 206).

42- يحيى بن إبراهيم بن عبد الله التادلي:

من عباد الله الصالحين بتادلا كريما معطاء، لزم المسجد حوالي خمسين سنة، أنفق كل أمواله في الخير حتى لم يبق له شيء. توفي عام 582هـ/... في عمر يناهز 110 سنة.



43- يعزى بن داوود:

تادلي سكن فاس ومراكش وشغل منصب القضاء بالأندلس، توفي عام 612هـ. (ج/العاشر/ص214).

44- يعزى بن الشيخ أبي يعزى يلنور بن ميمون:

دفن مراكش، كما في بداية حياته من أهل الدنيا والرفاهية، ولم تظهر عليه بكرات أبيه إلا بعد موته. (ج/العاشر/ص261).

45- يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي:

أصله من داي، نزل بمراكش وتوفي بها عام 592هـ كان عبدا صالحا ورعا، كان ذات ليلة يقوم الليل، فلما سجد لدغته عقرب في جبهته فلم ينتقل من الصلوات حتى سلم، ولما مات غسله جيرانه، وحضر جنازته حشد غفير من الناس، وكان ذلك يوم الجمعة ويوم حر، فغلب على الناس الغيار وشدة الحر، فجاءت سحابة فرشت على قبره وما حواليه، فسكن الغبار وخف الحر. (ج/العاشر/ص310)

التصوف في بلاد تادالا: الأدوار والمهام.

يتضح جليا من خلال هؤلاء المتصوفين، الأدوار الكبيرة التي قاموا بها عبر فترات حاسمة من التاريخ المغرب على المستويات الروحية والاجتماعية والسياسية، سواء كأفراد لهم تأثيرهم وداخل أوساطهم أو خارجاها، أو كمؤسسات-زوايا- تسيسها وهيكلتها لتؤدي وظائفها التاريخية الى جانب المخزن، في تدبير الشؤون الداخلية وحتى الخارجية للبلاد.

أولا: الأدوار الروحية

ترتبط الساس بالمكانة الروحية لهؤلاء المتصوفين، والتي حدد ترايتها بدقة السلم الصوفي:

هاته المكانة الروحية هي التي تحدد الوضعية الاعتبارية للمتصوفة داخل المجتمع.

وحول السلم الصوفي نورد نصا لعبد الرحمان بن إسماعيل الصومعي يتحدث فيه عن الاثني عشر الفا من اتباع الجزولي: "واخذ الطريقة من الاشياخ الأثنى عشر ألف من الصالحين الذين أدركوا القطبانية ومنهم الغوث وهو القطب الكامل ومنهم من كان من السادات النقباء رضي الله عنهم ونفنا ببركاتهم امين، ومنهم من كان من السادات النجباء رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم امين.

ومنهم من كان السادة الاخيار الرجال الابرار الصوفية التابعين السنية، وهم أهل الدائرة والعدد يدور في اقطار الأرض في كل ليلة ويجتمعون في قطر من الأرض... فمنهم الرجال الصالحون السادات المسلمون الأبدال لا يموت أحد منهم إلا أبدله الله تعالى بأخر... ومنهم رجال الصوفية السادات الآخرين أكثرهم في الأقاليم وهم السائحون، الحامدون، الثابون، العابدون في الأرض ومنهم العباد وهم الاوتاد في الزوايا الأرض وأقطارها... "(التشوف الصغير، ص 103-106).

نستنتج من النص أن للصوفية مراتب روحية، تجعل منهم تنظيما دينيا واجتماعيا محكما تتوزع فيه مختلف الأدوار بشكل مضبوط ودقيق، كل حسب مكانته وإمكاناته الروحية والمعنوية.

هكذا نميز بين المراتب الصوفية التالية:



● **الأقطاب:** جمع قطب، ومنهم القطب الغوث الذي يلجأ اليه الناس والمهوفون. فالقطب ليس شيخا عاديا، بل يتصف بالعديد من الكرامات، وقد حدد الأستاذ محمد البوكاري في كتابه الزاوية الشرقاوية هذه الصفات في معرض حديثه عن سيدي محمد الشرقي باعتباره قطب زمانه وعصره:

-عدم القبول بان يضاهيه أحد نظرا لعلو مرتبته ومقامه.

-المعاقبة بالسلب، بإمكان القطب أن يسلب نور وسر أشياخ آخرين.

-حق التصرف التام في زمانه، فالأرزاق تجرى على الأقطاب، كما تدل القصة المعروفة بين سيدي محمد الشرقي وابنه سيدي الغزواني بوشاقور.

-المكاشفة والاطلاع على الغيب وعلى ما في الخواطر.

-أن تكون مجذوبا سالكا والمجذوب هو من اصطفاه الله وأطلعته بجانب قدسه، ففاز بجميع المقامات والراتب بلا كلفة الكاسب والمتاعب. (الزاوية الشرقاوية / صص 118-121).

* **النقباء:** الذين يشرفون على بواطن الناس ليستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجود السرائر.

* **النجباء:** وهم المنشغلون بحمل أقال الخلق، لاختصاصهم بوفر الشفقة والرحمة الفطرية.

* **الأوتاد:** مفرد وتد وهم الذين يحفظ بهم الدين.

* **الأبدال:** مفرد بدل، والبدل هو من سافر من موضع وترك جسدا على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعمال أصله بحيث لا يعرف أحد انه غاب (التشوف الصغير، هوامش، الصفحتين 103/104).

بناء على هذه المكانة الروحية وما تتيحه من وضع اعتباري متميز للمتصوفة في أوساط الناس، فقد كان لزاما عليهم مد الإشعاع الديني والصوفي، بل وحتى العلمي الى مختلف مناطق البلاد، وفاء لتعاليم طريقتهم وسيرا على نهج شيوخهم.

وقد تطلب هذا العمل من المتصوفة الجمع بين التكوين المتين في مختلف العلوم، والتحلي بالسلوك الرصين والزهد التام.

ثانيا الأدوار الاجتماعية:

سنتناول هاته الأدوار من خلال مؤسستين دينيتين بارزتين في بلاد تادلا: الزاوية الشرقاوية بابي الجعد والتي أسسها أبو عبد الله محمد الشرقي، والزاوية الدلائية التي أسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بمنطقة ايت ايدلا.

لعل أبرز هذه الأدوار، هي اضطلاع الزاويتين بمهام اجتماعية أساسية بالنسبة لناس خصوصا في اضطراب الأمن وعجز المخزن عن بث نفوذه، لكن هذا لا ينفي استمرار تلك الأدوار في فترات استقرار الأمر للسلطة المركزية تتمثل هذه الأدوار الاجتماعية فيما يلي:

1- **إطعام الطعام:** توفير الطعام للوافدين وعابري السبيل والمقيمين على حد سواء، ويعد مقدم الزوية هو المسؤول والمختص عن شؤون الإطعام ورعاية الضيوف. وفي حالات المجاعات والمسغبة تقدم الزاوية مساعدات غذائية لجموع الجائعين.

ووقفنا من خلال تراجم إعلام التصوف، التادلي، إن المتصوفة كأفراد قدموا كل ما يملكون من قمح وسمن للمحتاجين تقربا الى الله.



2-الإيواء: إيواء طلبة العلم والانفاق عليهم كما كان يفعل محمد بن أبي بكر الدلائي وشيخ زاوية أبي الجعد، حيث وفرت كل من الزاوية الشرقاوية والزاوية الدلائية بيوتا للوافدين والمقيمين من الفقهاء وزوار وطلبة.

3-المريض والعلاج: وهي مهمة اضطلع بها على وجه الخصوص صلحاء زاوية أبي الجعد، الذين جمعوا معالجة النفس والبدن، أحيانا بواسطة العقاقير الطبية وأحيانا بواسطة التمام.

وقد كان مفهوم بركة الصالح هو المحور الأساس في نجاح عمليات التطبيب والعلاج، فبركة تدفع اذى الجن وعين البشر الحاسدة، وتيسير الاخصاب الجنسي وعلاج الحالات المستعصية مثل الشلل وللقوة (تشنج عضلات الفك).

4-طلب الغيث: حيث كانت القبائل خصوصا من خدام الزاوية الشرقاوية تلجأ الى الاولياء لتوسل إليهم والتوسط بينهم لطلب الغيث في سنوات القحط والجفاف.

5-أداء الديون على أصحابها: سواء كان أصحاب الديون اشخاص مثل محمد بن عبد الرحمان الصومعي حينما التزمت زاوية أبي أبي الجعد بتخلصه من ديونه، او قبائل برمتها مثل قبيلة ايت عتاب التي دفع عنها ديونها الشيخ العربي الشرقاوي.

6-الصلح والتحكيم: وتتمثل هذه المهمة في بث الزاوية في هاته النزاعات الفردية والجماعية، فكتيرا ما تدخل الصلحاء الدلائيون والشرقاويون للفصل من خلال الإشراف على الاتفاقيات والتحالفات.

7-التعليم: لقد كانت الزوايا خدمة تعليم الافراد، فساهمت مدارسها في تطويع العديد من الطلبة، وتخرج منها العديد من الشخصيات والفقهاء والعلماء.

كما شملت مواد المدرسة الفروع الدينية مثل علم القراءة وعلم التفسير والأصول والتصوف، والفروع الدنيوية مثل المنطق واللغة وقواعدها والبلاغة والادب، وعلم الحساب والهندسة

ثالثا: الأدوار السياسية:

وتتجلى في انخراط واسع لكل من الزاويتين الدلائية والشرقاوية في الاحداث السياسية التي عاشها المغرب. ابتداء من افول نجم السعيد.

1-التجربة الدلائية:

لم يقتحم الدلائيون باب السياسة بشكله الواسع الا في عهد زعيمهم سيدي محمد الحاج، ففي عهد مؤسس الزاوية سيدي محمد بن سعيد، وابنه محمد، كان الاهتمام موجها الى الناحية الدينية والعلمية في زهد تام عن أمور الدنيا وانقطاع للعبادة وتربية المريدين وتدريس الطلبة وإكرام الوفد والإحسان الى الناس جميعا.

لكن ذلك لا يمنع من القول إن الشروط الأساسية قد توفرت لسيدي محمد الحاج كي يخوض مغامراته السياسية، منذ مزج وايه خصوصا مع اضطراب الدلائيين الى تكوين جيش قوي لحماية زوايتهم وثرواتهم أولا، ولتأمين السبل وحماية القوافل.

ثانيا: مع ضعف السلطة السعدية فقد كان محمد الحاج الى جانب أخويه سيدي عبد القادر وسيدي عمر قادة هذا الجيش.

هكذا فبعد وفاة محمد بن أبي بكر عام 1636م رفض سيدي محمد الحاج مبايعة الشيخ السعدي، فألن استقلاله وعبر عن طموحاته السياسية، حيث أسس مدينة جديدة على مقربة من الزاوية الدلائية القديمة فهي مدينة اليه إسحاق، وذلك سنة 1638م، وهي نفس السنة التي كانت فيها المواجهة السعيدة الدلائية حد.



بوعقبة وانتهت بانتصار جيش محمد الحاج وتخلي السعديين عن فكرة اخضاع تادلا والدلايين وقد استمرت الأعمال الحربية سيدي محمد الحاج، حيث هاجم المجاهد العياشي وسيطر على مناطق نفوده في المغرب والشمال كما أقدم على غزو سجلماسة سنة 1646 وحقق انتصار عسكري على محمد بن الشريف، كما انضوى المورسكيون في تطوان والرباط وسلا تحت لواء الدلايين.

لقد حول اتساع نفوذ الدلايين داخل المغرب، إلى إمار أو دولة ربطة علاقات دبلوماسية وتجارب مع دول أوروبية مثل فرنسا وإنجلترا وهولندا... انتهت الزاوية الدلائية بتدميره من طرف المولى رشيد عام 1668م ونفي أبنائها إلى فاس وتلمسان، لكن تجربتها السياسية ودكراها ضلة حاضرة وسط القبائل الصنهاجية التي رفعت راية العصيان ضد المخزن العلوي، وتطأير من زاوية اخرا اعتبرت الوريثة الشرعية لزاوية الدلائية وهي زاوية ايت امهاوش.

2- التجربة الشرقاوية:

على العموم، كانت الزاوية الشرقاوية متمسكة بالمخزن المركزي وشرعيته، فقد عاصر أبو عبيد الله الشرقي مؤسس الزاوية الذهبية لدولة السعدية أيام محمد الشيخ وعبد الله الغالب والمتوكل واحمد المنصور، وكانت اسرته تحظى بتشجيعات رسمية لتثبيت نفوذها في المناطق السهلية، بل وحتى الجبلية.

فكان محمد الشرقي مؤسس الزاوية حريصا على استمرار علاقات الود والتفاهم مع المخزن السعدي، ما يفسر ذلك إرساله أحد أبنائه إلى حضرة المنصور إلى مراكش بعد ما تسرب إلى هذا الشك في مدى ولاء الزاوية الشرقاوية خصوصا أنها أصبحت ملجأ للناقمين على ولاية المنصور وجباته.

تأكدت أجواء التفاهم هاته في وقوف سيدي بو عبيد إلى جانب المنصور خلال ثورة الناصر، بينما اختار سيدي احمد الشيخ زاوية الصومعية تزعم القبائل التادلية المساندة للثورة. ولا بد الإشارة إلى ان التمسك بالمخزن المركزي قد تسبب في أزمة الزاوية الشرقاوية بعد الازمة التي عرفتة الدولة السعدية بعد وفات المنصور، وصعود الزاوية الدلائية وتضييقها الخناق على زاوية أبي الجعد.

وفي عهد الدولة العلوية استمرت علاقات التعاون بين الصلاطين العلويين وبين أشياخ الزاوية الشرقاوية، إلا ان هذا لم يمنع من توتر العلاقات بين الجانبين، بل حدث الاصطدام حينما أقدم سيدي محمد بن عبد الله على تدمير الزاوية ماديا ومعنويا بعد الدور الاستراتيجي الذي لعبته وسط القبائل خلال فترة الثلاثين سنة التي أعقبت وفاة مولاي إسماعيل.



خلاصة:

من خلال ما سبق، يتضح أن رجالات تادلا اهتموا بالترجمة لمختلف أعلامهم، والمتصوفة ومن بينهم أولياء تادلا على الخصوص، حظوا بنصيبهم ضمن كتب التراجم ونخص بالذكر "التشوف الصغير" للصومعي وكتاب "مباحث الانوار" للولائي، وكتاب "الصفوة" للإفراني وكتاب "الاعلام" للسملالي المراكشي، باعتبارهم من اهم لبنات هذه المصنفات، لكونهم يتميزون بنزعمهم الصوفية، ويزخرون بتراجم لعينات مختلفة من أعلام التصوف التادلي، وجملة من أحوالهم ومكاشفتاتهم، والمكانة الرفيعة التي حظوا بها بين أهل المنطقة، بفضل اسلوبهم الصوفي وكراماتهم الصوفية الخارقة للعادة، والوظائف التي مارسوها الزوايا التي ينتمون إليها من الناحية الدينية والعلمية، والاجتماعية.

ويعد أدب المناقب إنتاجا صوفيا خالصا، استطاع عبره الأولياء أن يضمّنوا استمراريتهم في الذكر والذاكرة، فمن خلاله يفصح عن مولد الأولياء ونشأتهم ومراحل طلبهم للعلم، وشيوخهم وتلامذتهم، وأحوالهم التعبدية وكراماتهم، وأعمالهم في التدريس والتأليف، مع ذكر وفياتهم، وتأثيرهم في المجتمع حتى بعد مماتهم، وبهذا تشكل كتب المناقب والتراجم إحدى الوثائق المصدرية التي تحتزن رصيда لا يستهان به من المعطيات الجزئية والتاريخية لشريحة مهمة من المجتمع اخذت من الزهد والنسك والتصوف منهجا في الحياة يمكن من خلال دراستها دراسة موضوعية ملامسة ظواهر منسية او مغيبة غير وارد في أمهات المصادر التاريخية.

الا ان السؤال الملح الذي يحمله كل مهتم بالتراث الديني للمنطقة تادلا في حاضرها ومستقبلها يسائلنا أين نحن من انجازات هؤلاء الأسلاف الذين تحصنوا بمنجزاتهم الدينية والعلمية والعقدية والعمرانية، بحيث ان الإشعاع الديني والثقافي الذي اسسوه لازالت معالمه بارزة اليوم، كما انه لم يكن وليد الصدفة بل ساهمت في وضع أسسه وترسيخ ودعم بنيته جهود متواصلة لشيوخ وزهاد ومتصوفة ورواد الطريقة على امداد فترات من الزمن، وهو ما أثمر تراثا دينيا واجتماعيا وعلميا متكامل المهام و الاختصاصات أطرت الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية داخل المجتمع من أقصاه إلى أقصاه عبر مؤسسات (الزوايا) كان لها حضور، كما عرفت اخفاقا وفتورا.



- ¹ أحمد الوارث أولياء تادلا خلال 16 (ملاحظات أولية) الملتقى العلمي لمنطقة تادلا التاريخ المجال الثقافة أيام 15-16-17 ابريل 1992، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، سلسلة منشورات ندوات ومناظرات رقم 1 1993. ص 57.
- ² الزوايا والصلحاء بالشاوية التصوف والمجتمع منشورات وزارة الشباب والثقافة والتواصل، اشراف وتحرير شعيب حليفي. ص 9.
- ³ R:Peyronnet/Tadla pays Zain Moyen Atlas, Imprimerie, Algerienne, Alger, 1923, p, 31.
- ⁴ أحمد الوارث "أولياء تادلا خلال القرن 16، الملتقى العلمي تادلا حول: تادلا، لتاريخ المجال الثقافة أيام 15-16-17، ابريل 1992 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال سلسلة ندوات ومناظرات رقم 1، 1993، ص، 57.
- ⁵ أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي عرف بابن الزيات، التشوف لرجال التصوف واخبار أبي العباس السبتي تحقيق أحمد التوفيق، ص 18، 19.
- ⁶ محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ص، 33.
- ⁷ مصطفى عربوش، (أحمد أبي القاسم شيخ زاوية الصومعة معه زوايا المنطقة)، ص 43.
- ⁸ أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد اشعاعها الديني والعلمي، ص، 73.
- ⁹ مصطفى عربوش، س، ص 58.
- ¹⁰ نفسه، ص، 48.